فاعلية العناصر الشكلية في تأهيل الفضاءات الداخلية للمباني التراثية

م.م. هشام مالك أنس

كلية الفنون الجميلة

Hisham.malik@cofarts.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف عن طبيعة وآليات تأهيل العناصر الشكلية في الفضاءات الداخلية للمباني التراثية المعاد تأهيلها وظيفياً، وذلك لأن هذه المباني تلامس ذاكرة المجتمع عبر الدلائل التاريخية، لذا فأن الإبقاء على هذه الأبنية وكيفية الحفاظ عليها وعلى روحها وجوهرها وهويتها من الإندثار والضياع، ومدى توافقها مع متطلبات العصر الإجتماعية والإقتصادية، يعد ضرورة لإستقراء هوية المدن والمجتمعات، على الرغم من أن هناك محاولات يقوم بها المجتمع الإنساني لإحتواء حجم التغيير السلبي الناتج عن الإنطلاق السريع نحو تحقيق متطلبات الحداثة وسرعة التغيير وإعادة الهيكلة الحضارية للمجتمعات، بعد أن أفقدها الدمار الكثير من شخصيتها الحضارية.

الكلمات المفتاحية: (فاعلية – العناصر الشكلية – التأهيل – المباني التراثية)

Abstract:

This study aims to identify the nature and mechanisms of rehabilitating the formal elements in the interior spaces of functionally rehabilitated heritage buildings, because these buildings touch the community's memory through historical evidence, so preserving these buildings and how to preserve them and their spirit, essence and identity from extinction and loss, and the extent of their compatibility. With the social and economic requirements of the era, it is necessary to extrapolate the identity of cities and societies, although there are

attempts made by human society to contain the amount of negative change resulting from the rapid move towards achieving the requirements of modernity, speed of change, and cultural restructuring of societies, after the destruction made them lose much of their civilizational character.

Key words: (Effectiveness, Formal Elements, Rehabilitation, Heritage Buildings)

الفصل الأول

الإطار المنهجي للبحث

1-1 المقدمة:

تمثل المباني التراثية الباقية إلى يومنا الحاضر رسالة من عبق الماضي، وهي شاهد حي على التقاليد المعمرة، والمتوافقة مع تنامي المدرك العقلي والجمالي للإنسان كوحدة متعالية من القيم المتعلقة بالآثار القديمة كميراث حضاري، وعليه، ضرورة تأهيل هذا الميراث والاهتمام بالمباني التراثية للأجيال، لتبقى المسئولية مشتركة وبنفس الغنى والأصالة الكاملين. ومن ثم يمكن طرح المبادئ الموجهة لتأهيل وترميم المباني التراثية على أسس دولية متفق عليها، وأن تطبق هذه المبادئ في كل بلد بما يتناسب مع البنية الثقافية والتقاليد الخاصة بها.

وبذلك تتفق الطروحات على أن عملية التأهيل في تعاملها مع الموروث التاريخي تعتمد توجهين، يستند الأول منهما وهو المتداول على البُعد التطبيقي للحفاظ والتأهيل، فيَعمد على العناصر الشكلية بأسلوب موضوعي، وفقاً لقواعد علمية بحتة، أما الثاني فيستند الى البُعد الفكري للتأهيل، فيولي إهتمامه بالقيَم والمعاني التي يُقصَد الاعتماد عليها, لإيصالها الى الأجيال القادمة، بما يوفِّر مرونة أعلى في انتقاء الصياغات الشكلية الملائمة لنقل تلك القيَم.

2-1 مشكلة البحث:

بما أنَّ المباني التراثية هي نتاج فكر الإنسان، وهي التي تمثل تاريخ الأمة وتراثها الحضاري، لذا فأن الشعوب يمكن لها أن تعَّرف عن طريق ثقافتها وحضارتها، وعن طريق التصميم والعمارة الذي يشكل المعبر الأساسي عن خصوصية المجتمع، ومجموعة العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وايضا التكنولوجية، كما أن إدراك قيمة المباني التراثية يحصل عندما تكتسب تلك المباني قيمة روحية عبر علاقة الإنسان بالمكان، ليكون هناك انتماء بين الإنسان والمكان بمرور الزمن، مما يتشكل عن ذلك تصور وجذب وإستقطاب، يؤثر في طبيعة الفرد وبإنتاجاته الفكرية والفنية ومنها نتاجه التصميمي والعمراني، بذلك نلاحظ أن المباني التي تعود للأزمنة السابقة، وتحضى بإهتمام خاص من بين المباني الأخرى، كلما زاد عمرها زادت أهميتها، لأنها تعبر عن وجود الإنسان وماضيه وذكرياته في ذلك الوقت، ومن ثم هويته المعبرة عن وجوده لذا فأن المحافظة عليها ضروري جداً.

وهنا يبرز مفهوم تأهيل العناصر الشكلية في وصفه المحدَّد لأسلوب التعامل مع المباني التراثية، فهو يتعامل مع ذاكرة المجتمع في إنقاذ المعالم التراثية والدلائل التاريخية من الإندثار، وضمان إستمراريتها بفاعلية وتجنيبها الإهمال، ليتم بها إستقراء هوية المجتمع وخصوصيته المعبرة، لذا فقد ظهرت مشاكل تحتاج إلى آليات تتعامل مع الأبنية التراثية وفق مفهوم التأهيل، وظهرت أفكار وأساليب وعناصر تشكيلية وتصميمية جديدة ولاسيما بعد الثورة التكنولوجية التي سمحت بتنفيذ الكثير منها فبدأت حقول جديدة بالظهور في مجال تأهيل الفضاءات الداخلية.

وبعد الإطلاع على واقع حال تلك المباني وحالة الإهمال التي تتعرض لها، والقصور الواضح في تأهيل تلك العناصر الشكلية داخل فضاء المباني التراثية، تحددت مشكلة البحث الحالي بالتساؤل التالي (هل هنالك دور فاعل للعناصر الشكلية الظاهرة على المحددات العمودية والأفقية للفضاءات الداخلية عند تأهيل المباني التراثية؟).

1-3 أهمية البحث: تحظى المباني التراثية بأهمية تلامس مكوناتها (الخارجية والداخلية)، وطبيعة متغيراتها التي غاب محيطها التاريخي، وبقيت قائمة ضمن المكان على الرغم من التغييرات التي حصلت لها، لذا تتركز الأهمية عبر ما يقدمه البحث من:

(1) مادة تفيد طلبة كلية الفنون الجميلة والتخصصات المناظرة له وبقية الكليات ذات التخصصات المقاربة.

(2) الخوض في هذا الموضوع يعتبر إضافة معرفية تنظيرية تضاف الى الرسائل والأطاريح التي تعتمد آليات تأهيل المباني التراثية.

(3) إستزادة معرفية تطبيقية للعاملين ضمن المكاتب الهندسية الخاصة بوزارة الثقافة.

1-4 هدف البحث: إن الهدف من تأهيل الفضاءات الداخلية في المباني التراثية يتركز في:

(1) كيفية الوصول الى معايير تصميمية يتم إتباعها عند عملية التأهيل.

(2) إعتماد رؤى تؤهل هذه الأبنية ذات المدلول الواقعي المنبثق من قداسة وقيمة الشيء وفق منظومة تتضمن الإرادة والتدبير في تحديد الهدف.

1-5 حدود البحث: تتركز في معرفة التراث المرتبط بمجموعة التجارب المقامة عن إعادة التأهيل، والتي بموجبها تنقل نتائج ممارساتها اليومية من الماضي عبر الحاضر، وتتوقف عند حدود الحاضر لتصبح تاريخاً وماضياً فقط. وإعتمد الباحث: (1) الحدود الموضوعية التي تهتم "بدراسة الأساليب المتبعة بكيفية تأهيل الفضاءات الداخلية في المباني التراثية عبر منهجية تتضمن تصميم مظهر وجوهر هذه الأبنية". (2) الحدود المكانية في "شكل ومضمون المباني التراثية في مدينة بغداد وبالتحديد بيت (توفيق السويدي) إنموذجاً" لأنه يقع ضمن منطقة تراثية بغدادية قديمة على شارع حيفا (محلة الكريمات) وله مجاورات من بيوت تراثية مشابهه له بالطراز المعماري، ولشموليته على جميع العناصر الشكلية للمباني التراثية التي سيتم ذكرها في الفصل الثاني لاحقاً.

(3) الحدود الزمانية فتحددت "بالتصاميم الملامسة للمباني التراثية التي تم إنشاؤها بمراحل تاريخية متنوعة في بداية القرن المنصرم وتم إعادة تأهيلها في المدة مابين (2013م –

2019م)" لأنها المدة التي تم فيها إعادة تأهيل هذه المباني المملوكة للدولة ضمن مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية إذ تم تأهيل المبنى في (2014م).

1-6 تحديد المصطلحات:

1- الفاعلية: هي القدرة الكامنة لحركة العناصر الشكلية، بوصفها الفاعل الأساسي في المنجز التصميمي، وما تؤديه من مدلولات جمالية ترتبط بتكوين الشكل والكشف عن المضمون، أي هي تلك القوى المؤثرة في الأشكال المصممة بما لها من تأثير علائقي بين المكونات الجزئية والكلية لتتوافق مع البنى التصميمية عامة (غزوان، 2012، 12).

التعريف الإجرائي للفاعلية: هي جميع التأثيرات الناتجة عن طريق العناصر الشكلية الموظفة في الفضاءات الداخلية للمباني التراثية، والمنبثقة من فكرة مبتكرة وعلاقات تصميمية لها وقع نفسي في المستخدم للفضاء فيدركها ويتفاعل معها بنسبة جيدة تؤدي الغرض الذي صممت من أجله، أي هي الحالة الإبتكارية التي تحققها العلاقات المترابطة ما بين عناصر البناء ووسائل التنظيم وفق أسس فاعلة تسهم في تحقيق البعدين الوظيفي والجمالي.

2 – العناصر الشكلية: هي مجموعة العناصر التعريفية المرتبطة مع بعضها في علاقات وأسس، والتي تمثل المواد البنائية المستخدمة لإنجاز التصميم الموحد، ومن خلال التأثير الكلي للعناصر والفهم الواعي لكيفية ظهور تلك العناصر وتطورها يتكون الإحساس بالوحدة الشكلية للمباني التراثية(Smithes, 1981, 6).

التعريف الإجرائي للعناصر الشكلية: هي العناصر البنائية والتزيينية التي تتصف بها الهيئة الخارجية والداخلية للمباني التراثية والظاهرة ضمن المحددات الأفقية والعمودية للفضاءات الداخلية لتلك المباني، والمرتبطة مع بعضها بوساطة مجموعة من النظم والأسس والعلاقات التصميمية والتركيبية للعناصر المكّونة أو الأجزاء المركبة .

3 – التأهيل: هو العمل أو العملية التي تجعل إستخداماً متوافقاً لمقتنى ما أمراً ممكناً وذلك من خلال الإصلاح والتبديل والإضافات في الوقت الذي يتم فيه الإحتفاظ بتلك الأجزاء والمعالم التي تنقل قيمتها التاريخية أو البيئية أو المعمارية (Brown, 1933, 1).

التعريف الإجرائي للتأهيل: هي عملية إعادة المبنى إلى حالة الإستخدام الأمثل من خلال الترميم والتغيير بالمنظومات الداخلية للمبنى بما يجعل إستخدام المبنى إستخداما عصرياً وكفوءاً مع الحفاظ على الأجزاء والمعالم الأساسية المميزة للمبنى والتي لها قيم تاريخية ومعمارية وثقافية، وهي بهذا تشمل جميع أعمال الصيانة والترميم، وأعمال الإصلاح والتحسين التي تعمل على إعادة خلق حياة جديدة داخل تلك المباني تنسجم ومتطلبات العصر.

4 – المباني التراثية: المبنى التراثي يُعرَّف بأنه "ذلك المبنى الذي يعطيك ويشعرك بالرغبة في معرفة المزيد من المعلومات عن الناس الذين بنوه وعن ثقافتهم التي أنتجته، ويمتلك هذا المبنى قيم معمارية وجمالية وتاريخية وتوثيقية وأثرية وإقتصادية وإجتماعية وحتى سياسية ودينية ورمزية (عليان، 2004، 332).

التعريف الإجرائي للمباني التراثية: هي تلك المباني التي لا يقل عمرها عن (200) عام حسب قانون رقم(80) لسنة (1979م) والتي تقضي المصلحة العامة بالمحافظة عليها بسبب قيمتها التاريخية أو الدينية أو الفنية، لأنها تحمل قيماً خاصة بسبب تقادم الزمن عليها أو حصول أحداث مهمة فيها ولها خواصها المعمارية والثقافية.

الفصل الثاني

الإطار النظري

2-1 تمهيد:

تتجسد فاعلية العناصر الشكلية للمباني التراثية في وثائقية التاريخ ضمن معان ذات مدلول واقعي تنبثق من مفاهيم الشيء والإقتناع بقيمته والمحافظة عليه وعلى مستوى الفضاء الداخلي وفق منظومة تتضمن الإرادة والتدبير لتحديد الهدف. تزايدت الدعوات في النصف الثاني من القرن العشرين إلى ضرورة إعادة تأهيل المباني التراثية والتاريخية، خاصة بعد تدهور عدد من المناطق التراثية نتيجة لعدم الوعي بأهمية هذا التراث في حياة الشعوب. وذلك لأن تأهيل المباني التراثية وإعادة إستخدامها مرة أخرى، تعد من القضايا التي تحظى بالكثير من النقاش والاهتمام في المؤسسات التعليمية والفنية، وعلى وجه الخصوص في المجتمعات النامية التي تأخرت بالإهتمام في ممتلكاتها التراثية والتاريخية. وتزايد الإهتمام

بهذا الإتجاه بعد ظهور إتجاهات الحداثة والعودة إلى الجذور، إذ شكل الإهتمام بالتراث أحد الحلول التي تواجه تيارات تعمل على مغايرة هذا التراث ومنها العولمة. وبما أن التراث يلعب دور في التعريف بهوية المجتمعات وخصوصيتها، فهناك محاولات يقوم بها المجتمع الإنساني من أجل احتواء حجم التغيير السلبي الناتج عن الانطلاق السريع نحو تحقيق متطلبات الحداثة وسرعة التغيير وإعادة الهيكلة الحضارية للمجتمعات، بعد أن أفقدها الدمار الكثير من شخصيتها الحضارية (بوخش، 2004، 267).

2-2 مفهوم التأهيل:

التأهيل هو إعتماد المحددات المرنة ذات القابلية للتشكيل والمحققة لروحية المكان، وقد ساد هذا التوجه بعد الستينات من القرن العشرين، ويشمل كلاً من الحفاظ والترميم والصيانة والإصلاح والتثبيت والتقوية والتحسين والتعديل والتشكيل وإعادة الإنشاء والإستنساخ والإستبدال وإعادة التأهيل.

يرى (مورتاك) على أنه فعل أو عملية لإدامة الشكل الموجود والتكامل والمادة لمبنى ما، والشكل الموجود والغلاف البيئي لموقع ما، وقد يتضمن هذا أعمال تثبيت أولية، حيثما يتَطلب ذلك، الصيانة المستمرة لمواد وبيئة المبنى التاريخي، فهو ترميم مُنشأ ذي أهمية آثاريه وثائقية، وذلك بصيغة تؤمن الصفة التوثيقية. ففي بعض الأحيان يعطي معنى الترميم، وفي حالات أخرى يعني الإعتناء بالمحيط مثل البيئة ومشاكل التخطيط الحضري والأمور المتعلقة بالقوانين التي تعنى بدوام المَعلم. مما يشير إلى أن التأهيل عملية تتطلَّب دِراية ووعي ثقافي ومجموعات علمية متخصصة ومُدربة للتعامل مع المباني التراثية (عليان، 2004، 333).

وبذلك يمكن قراءة مفهوم التأهيل، بأنه فعل صيانة هذه الأبنية الإثارية والوثائقية التاريخية ضمن معان ذات مدلول واقعي، ينبثق من الإيمان بروح وقداسة وقيمة الشيء والاقتناع بقيمته، والمحافظة عليه وعلى مستوى الفضاء الداخلي وفق منظومة متكاملة تتضمن الإرادة القوية والتدبير في تحديد الهدف. وتجسدت فكرة تأهيل المباني التراثية عبر التاريخ خلال حقبتين زمنيتين مهمتين بسبب الحرب في تلك المدة. وهما الحرب العالمية الأولى والثانية.

2-3 مفهوم إعادة التأهيل:

قبل التطرق إلى عملية إعادة التأهيل والتعرف على أهم مبادئها وأساليبها، لابد أولاً من توضيح مصطلح إعادة التأهيل لغويا، إذ تتكون كلمة Rehabilitate من Re + Habilitate إذ تستخدم Re للإعادة أما بالنسبة لكلمة Habilitate فتعتبر كلمة Habilitare الأصل اللاتيني لها، وهي نعت لغوي من الماضي، ومرادفاتها، إعادة بناء، إستصلاح، إعمار، تجديد وإستعادة.

تحدد منظمة (National Park Service)، وهي الوكالة الإتحادية للولايات الأمريكية المتحدة التي تدير جميع حقوق المباني والنصب والمعالم الأثرية وغيرها من المعالم التاريخية، ووضع محددات لعمليات الصيانة والترميم، أنشئت في 25- أغسطس 1916م (وهي تابعة لوزارة الداخلية الأمريكية) يشرف عليها أمين عام (يرشح من قبل رئيس الجمهورية ومجلس الشيوخ) مع مجموعة متخصصة من المهندسين والأكاديميين وعدد من الخبراء المهتمين بأمور التراث. حددت هذه المنظمة عملية إعادة التأهيل على أنها عملية الرجوع للصفة المميزة لتعديل وتأهيل فضاء المبنى، عبر التغيير الملامس للإستعمال المعاصر، بشرط أن يكون فعالاً وكفوءاً، ويمتلك الصفات المميزة التي لها قيم تاريخية ومعمارية وثقافية، في حين تحدد مؤسسة الإئتمان الوطني (National Trust)، وهي منظمة بريطانية تختص بأمور لتأهيل النصب العامة والأبنية المعمارية التاريخية، تأسست سنة (1894-1895) م، وفي عام 1934م أصدر البرلمان البريطاني قانون جعل هذه المنظمة المسؤولة الرسمية عن الأمور المختصة بصيانة هذه الممتلكات الثقافية والتاريخية بحيث يجب الرجوع إليها فيما يخص أمور البناء والترميم لهذه الممتلكات وأصبح لها عدد من الفروع في مختلف بلدان العالم. عملت هذه المنظمة على إعادة التأهيل، وهي عملية إعادة المبنى إلى حالة الإستخدام والإنتفاع بها من خلال الإصلاح أو الإبدال (لمنظومات المبنى) وبما يجعل من الممكن إستخدامه إستخداماً عصرياً كفوءاً مع المحافظة على الأجزاء والمعالم الأساسية المهمة للقيمة التاريخية والمعمارية والبيئية (Murtagh, 2006, 99) . ولكي يتم إيضاح مفهوم إعادة

التأهيل يجب التطرق لمجموعة من (الأفعال والعمليات) المتضمنة في فعل التأهيل المعماري والتراثي ومفاهيمها.

2-4 أسباب عملية إعادة التأهيل:

تتنوع أسباب عمليات إعادة تأهيل الأبنية التراثية والتاريخية إلى عدة عوامل تؤثر في بنيتها الفيزيائية والشكلية وتجعلها أقل كفاءة لتأدية فعالياتها الوظيفية والتعبيرية، وهي كالتالي (Cotrim, H.;Others, 2008, 41-49):

1. بعض الأبنية ذات القيمة التراثية والتاريخية تتأتى عملية إعادة تأهيلها نتيجة لحاجة الإهتمام بالتراث المعماري والحضاري، وايضا لحفظ تاريخ الشعوب المعماري والحضاري.
2. مع مرور الزمن تواجه معظم الأبنية، ومنها التراثية القديمة التي تمثل تراث الشعوب وحضارتها، حالة من الإهمال في حالتها البنائية والوظيفية، نتيجة لعوامل التدهور والتغير كالتداعي الإنشائي للمبنى والتغييرات والتحولات الحضارية والاجتماعية وأحيانا الفكرية.
3. نتيجة للحروب والكوارث الطبيعية (كالزلازل، الأمطار والسيول) تعاني الأبنية التراثية حالة من التدهور في حالتها البنائية والإنشائية، إذ تعاني بعض هذه المباني خلال الحروب من دمار شامل أو جزئي تستدعي عمليات إعادة تأهيل شاملة، فالعراق وعلى مدى تاريخه الطويل شهد العديد من المعارك والحروب من زمن التتار والمغول والى يومنا هذا مما أدى إلى الإساءة للمعالم والأبنية التراثية في أنحائه كافة، مما يستدعي القيام بعمليات إعادة تأهيل واسعة النطاق للحفاظ على العديد من المعالم الأثرية التي تشكل تاريخ الحضارة العريقة.
4. ظهور الحاجة إلى إعادة تنظيم المبنى إما من الناحية الفضائية أو من الناحية التعبيرية، إذ مع تغير الوظائف في بعض الأبنية تظهر الحاجة للتغير بالترتيب الفضائي

لملاءمة الفعالية الجديدة داخل الفضاء، هذا بالإضافة لحاجة المبنى للتغير في تعبيريته بما يتلاءم مع الفكر التصميمي المرافق لعملية إعادة التأهيل.

5. الحاجة إلى إدخال الخدمات الجديدة لإستيعاب النمو والتغيير الذي قد يكون نتيجة لتغيرات في إحتياجات المبنى المختلفة مع الزمن أو نتيجة لتغير نوع الفعالية الداخلية للمبنى نتيجة لظهور فعاليات ووظائف جديدة تتماشى مع متطلبات العصر الحديث، إذ تتطلب عملية إدخال خدمات جديدة للمبنى (ميكانيكية، كهربائية وصحية)، عمليات ترميم وإعادة تأهيل.

2-5 إعادة تصميم الفضاءات الداخلية في الأبنية التراثية:

لقد سبق أن قُدِّم مفهوم إعادة التأهيل للمباني التراثية وارتباطاته، إذ أن تقديم إعادة التأهيل للأبنية التراثية يرتبط بكل مكونات الأبنية من الشكل الخارجي والمرتبط بدوره بالبيئة الحضرية والنسيج العمراني والطرز المعمارية الخاصة به، لذا نحاول هنا إيضاح الجانب الخاص بإعادة تصميم الفضاء الداخلي (التراثي الذي نحن معنيين به) للأبنية التراثية، وتمثل عملية إعادة تصميم الفضاءات الداخلية وكل مكوناته (داخل المبنى) دون التطرق إلى الأفعال المرتبطة بالشكل الخارجي للمبنى، وعلى الرغم من عدم إمكانية تجزئة العمارة إلى ما يمكن تسميته قشره خارجية وفضاء داخلي، لكن هذه العملية تأخذ منحى خاص في الأبنية التراثية، وذلك بسبب خصوصية مفردات المناطق التاريخية المرتبطة بالقيم البصرية والمعنوية والمكونات التاريخية للمنطقة وطرازها المعماري لذا يتم إبقاء الخصائص (الطرازية والنمطية) الخارجية لكثير من واجهات ومعالم الأبنية التراثية مع صيانتها أو ترميمها أو ربما إعادة بناء أجزاء متضررة منها، لكن الوظائف الأساسية لهذه الأبنية قد تكون انتفت بسبب تغير استعمال الأرض في المنطقة (تحولها من سكنية إلى تجارية في قلب المدينة) أو حسب قدمها (Ceprian, 2004, 19). وبسبب وجود إحتياجات يمكن لهذه الفضاءات أن توفرها دون إبقائها (متحفية) الكيان، بسبب قيمتها التاريخية والتراثية، لذا فان أفعالاً خاصة يمكن أن يتم فيها إحداث تغييرات ضمن (إعادة تصميم لهذه الفضاءات الداخلية) بما يؤدي إلى إعادة تأهيلها.

2-6 التغييرات الحاصلة في الفضاءات الداخلية:

تشمل هذه التغييرات الخصائص الثلاثة الأساسية للفضاء الداخلي أو أجزاء بسيطة منها:

- الوظيفة في الفضاء الداخلي – (المعاد تأهيله) .
- القيمة الجمالية والمعنوية – (المكانية والزمانية) .
- العناصر الشكلية التعريفية والتكميلية للفضاءات الداخلية .

وعند دراسة مفهوم عملية إعادة التأهيل فإننا نلاحظ أن جوهر الفعل الحاصل في المبنى هو نتيجة ثبات وتغيير العديد من خصائصه المادية والتعبيرية، إذ إن فعل التغير في الفضاء يعد محوراً مهماً في التعامل مع مقومات الفضاء الداخلي عبر عملية إعادة تأهيله. في حين فسره البعض الآخر سلوكياً باعتماد استمرارية تغير الإنسان ضمن محيطه، والتي ينشأ بوساطته فعل التطور الناتج من حالة التفاعل بين قوى التثبيت والتغيير. أما التفسير الاجتماعي لمفهوم التغير فهوة ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون والحياة، فهو من أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحاً (الجولاني، 1993، 3). ويعرف التغيير في المبنى على إنه: الإختلاف في الإستجابة إتجاه الشكل الناتج (فيزياوياً ومعنوياً)، ونسبة إلى الشكل الأصلي من إذ قوة القرار الخاص بالتغيير وقابلية الاستيعاب الجديد في التوظيف، أما التغير في المعنى لشكل الموضوع ووظيفته فيمثل حضور الإختلاف بين الشكل المغير والشكل الأصلي ومدى إستجابته للأداء الجديد وإعاقته (العبيدي، 2003، 6).

نستنتج من ذلك بأن عملية الثبات والتغير في وظائف وشكل المبنى يعتمد على الإدراك المعرفي للإنسان، وحاجات المبنى مع مرور الزمن والتطور المعاصر ضمن التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والفلسفية والبيئية وحاجات الإنسان المتنوعة والمختلفة من عصر لآخر، فتتم هذه التغييرات بعمليات إجرائية على الفضاءات الداخلية للمباني التراثية وإعادة تأهيلها.

2-7 العناصر الشكلية التعريفية في الفضاءات الداخلية للمباني التراثية:

أولاً- الزخارف: الزخرفة هي كل شكل يعمل على مسطح بقصد ملء الفراغ بأشكال معينة متناسقة تستريح لها العين، ويعتمد جمالها على ذوق صانعها ودرجة سيطرته على المادة

التي يُزخرفها أو يُزخرف بها (عبيد، 2015، 188). وقد جاءت هذه التشكيلات الزخرفية في المباني بثلاثة أنواع (عكاشة، 1994، 46-47):

أ- الزخارف النباتية: تعد الزخارف النباتية الأقل تداولا مقارنةً بالزخارف الهندسية واقتصرت على أماكن معينة من المباني، واعتمدت عناصرها على مبدأ التناظر والتكرار في تنفيذها بطريقة الحفر البارز في الآجر، ومعظم تلك الزخارف محصورة داخل عناصر هندسية تتمثل بالأشرطة.

ب- الزخارف الهندسية: يقصد بها توظيف الاشكال الهندسية الأساسية ومشتقاتها لتشكيل عناصر زخرفية تشغل السطوح المراد زخرفتها عن طريق تقسيمها الى مساحات صغيرة ، تتكاثر وتتزايد مفترقه تارة ومجتمعة تارة أخرى توحي للناظر بأكثر من تأويل.

جـ- الزخارف العمارية: وتعني الزخارف المنقوشة على العناصر التصميمية التي تستمد منها أشكالها لتأدية أغراض زخرفية جمالية وأيضا وظيفية.

ثانياً- العقود: وهي عنصر تصميمي يعتمد على نقطتي إرتكاز، يربط طرفي فتحة في الجدار، كما إنها من العناصر التصميمية المهمة لأغلب المباني، فهي تستخدم لتحقيق أهداف وظيفية إذ تقوم بتوزيع ثقل البناء القائم فوقها، مثل السقف، وأيضاً المحافظة على تماسك الوحدة البنائية. والهدف الثاني زخرفي وفني بشكل ثانوي (ليس هدفاً أساسياً) يتمثل في نحت هذه العقود على الجدران والأعمدة (العزاوي، 1996، 5).

ثالثاً- الأعمدة والدعامات: الأعمدة من الأعمال الإنشائية المكملة للبناء، والتي أصبحت من العناصر التصميمية المهمة في المباني التراثية. إذ تقوم بحمل دعامات خشبية أو حديدية أو أسمنتية (روافد) تستند عليها سقوف الأروقة وأحياناً القاعات، وتأخذ اشكالاً ذات مقطع مضلع في الغالب أو دائري تعلوها تيجان ذات زخارف نباتية وهندسية ومقرنصات ودلايات (الدراجي، 2007، 9).

رابعاً- الرواشن والمطلات (الشرفات): الرواشن والمطلات زينت بها القصور والدور وهي مضافة الى البيت وكما يبدو من إسمها إنها تطل على الأزقة والشوارع المجاورة ، ويعرف الروشن بأنه البناء المسند الى جدار البيت الخارج منه وحده (الياور، 2001، 196).

خامسا– الشذروان أو النافورة: من العناصر التصميمية في البيوت التراثية هي الشذروان أو النافورة ، وهي عبارة عن حوض محفور بالأرض ينساب الماء بداخله تُستخدم لأغراض الزينة وترطيب الجو أيام الحر والجفاف ، ويكاد لا يخلو بيت أو قصر أو مسجد أو حديقة منها، وقد تكون هناك عدة شذروانات في البُركة الواحدة متدرجة في الإرتفاع ومركّبة بعضها فوق بعض وتتوسطها نافورة، وقد نجح المصمم في إستخدام أفضل المواد من رخام وحجر في عمل أدق النماذج من النافورات حفراً ونقشاً ونحتاً وإستغلال ماء النافورات جمالياً ووظيفياً، وظهرت النافورات في البيوت التراثية بأشكال مثمنة أو دائرية تتوسط الباحة المربعة للفناء الداخلي إذ تعطي حركة مستمرة للفناء وتركيزاً بصرياً يثير الإنتباه ويجذب البصر إلى داخل الفناء بالإضافة إلى الأغراض الوظيفية الأخرى (عبد الرحيم ، 1988، 84).

سادساً– الحواجز (المحجّرات): إستخدمتُ الحواجز (المحجّرات) في البيوت التراثية البغدادية كعناصر تصميمية وظيفية وجمالية أهميتها الأساسية حماية الساكنين من السقوط وتكون على مستوى الطابق الأول أكثر دقة وجمالاً وبمتانة مناسبة، أما في السطح فتكون بسيطة الشكل وبمتانة عالية ، ويمكن تصنيفها على أساس خاماتها كالآتي (سليمة، 1987، 66) –:

1– محجّرات خشبية: وهي قليلة الاستعمال إستخدمتُ في البيوت القديمة نسبياً.

2– محجّرات حديدية خشبية: وهي التي تكون كتائبها مكونة من الحديد أما زواياها فتكون من الخشب المخروط المتين وتُثبّت في البناء ويتم تثبيتها بشريط معدني قوي التركيب، والمحجّرات الحديدية جاءت بفترة لاحقة متأخرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

3– المحجرات الحجرية والآجرية: يتراوح إرتفاعها بحدود متوسط من (70–80سم)، تؤطر بقطعة خشبية على طول المحجر مشغولة جيداً وغالباً ما تكون بيضوية محززة المقطع تُثبت في داخلها الكتائب الحديدية المزخرفة، أما سياج السطح (الستارة) فيُبنى من الآجر وبإرتفاع يقصد منه عدم الإطلال على الغير من الناس في بيوتهم توافقاً في ذلك مع الأعراف والتقاليد الموجودة.

ومما تقدم فأن المفاهيم الأساسية لكل من المباني التراثية وإعادة التأهيل وما يرتبط به من مفاهيم وصولاً لتحديد وظيفة العناصر الشكلية في المباني التراثية، تعكس المفهوم التصميمي الشامل لتلك المباني، والتي تشمل كل قيمة تاريخية أو معنوية ترتبط مع الكيان الفيزياوي للمبنى (العناصر الشكلية)، وإن كان المفهوم التشريعي والأثاري يميز المباني التراثية بحدود زمنية محددة، تمييزاً مغايراً عن المباني التاريخية، وتشمل المباني التراثية في المناطق التاريخية أو التراثية مجموعة الأبنية والساحات التي تشمل المواقع الأثرية، وايضا تشكل مستوطناً بشرياً في بيئة حضرية أو ريفية، يعترف بقيمتها من الناحية الأثرية أو المعمارية أو التاريخية أو الجمالية أو الاجتماعية فالمباني التراثية بشكل عام وخاصة في العراق، بنيت ضمن تصميم بنائي متراص، وتكونت منه محلات المدن وأسواقها، وانفتحت على الأمكنة التقليدية والأزقة، لكن هذا المشهد التراثي قد تعرض في كل المدن وبخاصة بغداد إلى متغيرات على المستوى التصميمي من فتح شوارع وهدم أجزاء منه، مما أدى ذلك ببعض الأبنية أن تبقى منفصلة عن محيطها السابق (حوبش، 2003، 1) .

نستنتج عبر ذلك، على أن المستوى التصميمي والمعماري قد لا يعد تصنيف الأبنية التراثية بالمهمة وفي هذا الأسلوب، لكن هذا التصنيف يصبح مؤثراً في حالة كيفية التعامل ضمن مشاريع إعادة التأهيل، مع المكونات الخارجية للأبنية بكونها أجزاء أو مكونات أشمل لها قيمتها النمطية والتصميمية والمعمارية. وأن فاعلية العناصر الشكلية التي تعمل على تأهيل الأبنية الإثارية، تحمل معان ذات مدلول واقعي ينبثق من طبيعة الشيء والاقتناع بقيمته والمحافظة عليه وفق رؤية متكاملة تمتلك إرادة قوية لتحديد الهدف.

2-8 مؤشرات الاطار النظري:

1 - تؤثر العناصر الشكلية على قيمة المباني التراثية، وعلى شكل تصميم فضاءاتها التي تمتلك قيمة جمالية عبر علاقة الإنسان بالمكان، ليكون هناك انتماء بين الإنسان والمكان بمرور الزمن.

2 – تعكس صيانة وتأهيل الفضاءات الداخلية في المباني التراثية معان ذات مدلول واقعي، لقيمة الشيء والاقتناع به، والمحافظة عليه وفق منظومة الارادة بما يتلاءم مع محتويات الفضاء ومجاوراته، التي تعطي الروح التراثية للمكان.

3 – يشترط نظام تأهيل فضاءات الأبنية التراثية علاقتين متبادلتين هما البيئة والمصمم، لما لهما من رؤى تراثية تمتاز بإنفرادها بإظهار التراث الذي يعبر عن حيوية الإنسان.

4 – تتحقق الهوية البصرية للمبنى عبر الأشكال التراثية المستخدمة فيه، وعبر العناصر الشكلية التي تعبر عن الأنشطة والفعاليات المقامة في هذه المباني.

5 – يعكس التراث طبيعية التجارب السابقة، والتي بموجبها يمكن نقل الماضي عبر الحاضر، وبما يتضمنه من أفكار ورؤى جمالية ومعرفية. مثل الزخارف والاعمدة والرواشن والعقود.

6 – يتجسد مفهوم عملية إعادة التأهيل عبر جوهر الفعل الحاصل في المبنى، ومن ثم هو نتيجة ثبات وتغيير للعديد من خصائصه المادية والتعبيرية.

الفصل الثالث

إجراءات البحث وتحليل العينة

3-1 مجتمع البحث:

تناولت الدراسة في مجتمع البحث فكرة مختلفة، هي (فاعلية العناصر الشكلية التي يمكن بوساطتها تأهيل الفضاءات الداخلية للمباني التراثية)، وقد تم حصر المجتمع طبقاً لمحددات موضوعة البحث الحالي وحدوده. وبعد أن أطلع الباحث على تمثلات المباني التراثية وفضاءاتها الداخلية الباقية إلى يومنا الحاضر، إذ تبين للباحث من خلال الملاحظة والإطلاع على المبنى بأن له مجاورات ضمن نفس الموقع تصف المعلومات التاريخية التي بوساطتها يتم تحليل النتائج وإختيار الأبنية ليتم توثيقها بصورة أشمل. وعليه، فقد تم إختيار وتحديد عينة البحث ضمن حدود البحث الذي إستطاع أن يتعرف بوساطتها على طبيعة المباني التراثية وكيفية تأهيل فضاءاتها الداخلية. وعليه، كان تحليل العينة بطريقة المنهج الوصفي في تحليل العينة تماشياً مع طبيعة البحث وهدفه. كما أعتمد الباحث على المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري بوصفها معيار تحليلي.

3-2 عينة البحث:

إسم الإنموذج : بيت توفيق السويدي

المالك الحالي : وزارة الثقافة والسياحة والآثار الهيئة العامة للآثار والتراث

الوظيفة الحالية : دار المخطوطات العراقية

موقع المبنى : بغداد – الكرخ – شارع حيفا – دار رقم 145

المساحة الكلية : 489م2

المعمار والمصمم : المعماري العراقي (نعمان منيب المتولي)

سنة الإنشاء : 1931 م / آخر ترميم : 2014 م

3-3 وصف الإنموذج:

يقع مبنى دار المخطوطات ضمن مقتربات شارع حيفا، ويحده من الغرب عمارات حيفا، ويقابل مدخله الشارع العام المؤدي لساحة الملك فيصل الأول، أما جانبه الجنوبي فيحده مساحة خضراء وجانبه الشمالي يجاوره بيت ناجي السويدي وبذلك فتحت للمبنى عدة فتحات من أربع جهات كونه بني منفصلاً، ويعود هذا البيت الى السياسي والوزير ورئيس وزراء العراق في العهد الملكي (توفيق يوسف السويدي) الذي شكل في شبابه مع بعض القوميين العرب بتشكيل جمعية العربية الفتاة التي نادت بنيل العرب استقلالهم من الدولة العثمانية، يشغل المبنى مساحة مربعة الشكل مستقلة تماماً، أي لا يلاصقه أي مبنى من جميع جهاته، وتجاوره مجموعة بيوت تراثية تطل على الشارع مباشرة، كما إتخذ المبنى مبدأ التناظر وعملت الواجهات من الآجر المحلي لتتخللها النوافذ المزججة والأعمدة والشرفات الإسمنتية. كما في شكل (1)

شكل رقم (1) يوضح واجهة بيت السويدي وباب المدخل والشرفات العلوية والزخارف الجصية

يتألف المبنى من طابقين وله سرداب، واجهة المبنى من أعمدة وزخارف وعقود، إنفرد الدار بشرفات أرضية في واجهته الأمامية، وعلى جانبي المدخل الرئيسي بابين خشبيين مزججين مؤلفين من درفتين متحركتين تعلوهما نافذة ثابتة ذات عقد نصف دائري تتقدمهما شرفتان إسمنتيتان صغيرتان بعرض (1.50م)، وتعلو باب المدخل شرفة إسمنتية سوداء بارزة ومزخرفة محمولة على أربع أعمدة كورنثية إسمنتية بيضاء، مربعان مدمجان في الجدار وأثنان أسطوانيان محززان مستقلان يرفعان في الأعلى ثلاثة شرفات متصلة الوسطى مقوسة والجانبيتان تشبهان الأجنحة، أما الباب الرئيسي فهو خشبي ذو درفتين تعلوه خمس نوافذ ثابتة مربعة ومزين من الأعلى بعقد آجري منخفض وعلى جانبي الباب نافذتين مستطيلتين مدمجتين في الباب يعلوهما فانوسين تراثيين، يتقدمه باحة صغيرة أشبه بالشرفة مسيجة بالمحجرات المعدنية والخشبية المزخرفة بزخارف نباتية والتي بدورها تفضي الى الشارع عن طريق سلم إسمنتي من ثلاث درجات يجاوره تمثال ذهبي للسويدي.

أما الطابق العلوي فقد برزت فيه شرفة أمامية مقسمة على ثلاثة أقسام واحدة وسطية مقوسة والجانبيتان مقعرتان تشبهان الأجنحة في جدارها باب خشبية مزججة ذات عقد منخفض تشبه تماماً باب المدخل الرئيسي، علق على جانبيها فانوسان تراثيان، تعلوها زخرفة جصية نباتية بيضاء بارزة تشبه شكل الستائر والأغصان النباتية وأكاليل الغار التي تتوسطها مروحة إغريقية بارزة كتب عليها بالأسود سنة البناء والأحرف الأولى بالإنكليزية للتوثيق، وعلى جانبي الشرفة الأمامية بابان خشبيتان مزججتان ذاتا عقدان نصف دائريان تشبهان تصميم الأبواب الجانبية للشرفات الأرضية، تعلوهما ستائر زخرفية جصية معقودة طليت باللون الأسود، وعلى جانبيهما علق فانوسان تراثيان لكل باب تتقدمهما شرفتان إسمنتيتان مقوستان ذات محجرات معدنية خشبية مزخرفة بزخارف نباتية، مرفوعة بوساطة زوج من الأكتاف الإسمنتية السوداء، وهي عبارة عن زخارف إغريقية يقع على جانبيهما عمودان

آجريان مربعان مدمجان مطليان باللون الأسود، وعملت في الأعلى محجرات آجرية متكونة من أعمدة صغيرة مبرومة ومتراصة بجانب بعض، طليت باللون الرمادي كما في محجرات الشرفات الأرضية، أسفلها شريط زخرفي يحيط بالمبنى كله كإفريز بارز محمول على مساند صغيرة يلتقي في الوسط مكوناً لعقد نصف دائري بارز عملت بداخله الزخرفة الجصية النباتية التي تعلوه ستة مربعات غائرة وعلى جانبيها عمودان آجريان مربعان متوجان بزخارف كورنثية.

3-4 تحليل الإنموذج:

عند الدخول إلى المبنى يتم الإحساس بالمكان كلياً، وذلك لوجود الصفات الشكلية العامة للمبنى عن طريق العناصر الشكلية التكميلية الظاهرة على المحددات العمودية والأفقية، يحوي المبنى بين طياته العديد من المعالم التراثية التي تعود بنا بالذاكرة الى مطلع القرن العشرين، كون أن المبنى قد شيد في بداية الثلاثينات من القرن العشرين وعلى الطراز الإنكليزي الذي كان سائداً في تلك الفترة، نلاحظ أن الطراز الإنكليزي هو البارز والطاغي على معالم المبنى، إذ تم إبقاء ومعالجة نفس الأعمدة الإسطوانية المحززة الأصلية الخارجية (الكورنثية) والمربعة المدمجة المستخدمة في واجهة المبنى، كما تم إبقاء ومعالجة نفس السقوف الجصية الأصلية ذات الروافد المتوازية للسقف والمطعمة بالزخارف والكورنيشات التي تزين السقوف الأصلية المبنية بالآجر والحديد (العقادة)، وتم الإبقاء على العقود المختلفة سواء كانت نصف دائرية أو منخفضة أو مستقيمة والتي تتوج أبواب ونوافذ المبنى من الداخل والخارج والأكتاف التي تم استغلالها في رفع الشرفات الخارجية، كذلك تم إبقاء الأرضية الفرشية المزخرفة القديمة في الممرات والفضاءات الأرضية والعلوية كافة وبقياس واحد تقريباً، فضلاً عن إعادة ترميم الأبواب والشبابيك الخشبية و بنفس الصفات الشكلية للوحدات الأصلية وصقل الواجهات الخارجية ذات الزخارف الآجرية النباتية والهندسية للمبنى، تأكيداً على تأهيل العناصر الشكلية السائدة في ذلك الطراز. كما في شكل (2)

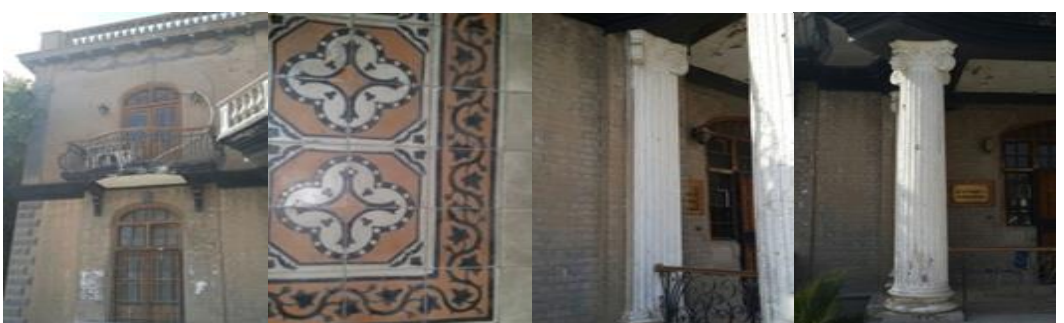

شكل (2) الإبقاء على الأعمدة الخارجية والأرضيات والفتحات والعقود والإشرفات الخارجية

من الناحية التعبيرية يتجسد شعور مختلف عبر الأنشطة والفعاليات المقامة فيه، لأن المبنى يمثل ومنذ الستينات حتى الثمانينات مكتبة الكرخ العامة، وبعدها دار المخطوطات العراقية، ولأنه يقع في شارع حيفا الذي يزخر بالعديد من المباني التراثية المجاورة والشاخصة حتى الآن، إذ تقام في المبنى عدة أنشطة ثقافية وزيارات علمية في أيام محدودة من السنة، فضلاً عن فعاليات الجانب الإداري كونه مستغل كدار للمخطوطات في منطقة البيجات وأن أغلب فضاءاته موظفة لعملية ترميم وأرشفة وحفظ المخطوطات الأثرية النفيسة. أما من ناحية تحقيق الهوية والشعور بالانتماء المكاني فيشعر الداخل بالارتباط بالمكان كلياً، لأن أن المبنى مخصص لوظيفة حفظ المخطوطات وتتم فيه فعاليات إدارية يومية عدا الزيارات العلمية فتتم لأيام محددة في السنة، يعد ملتقى للباحثين التاريخيين والمهتمين بالتراث المكتوب والمخطوط لأنه مكتبة للمخطوطات الأثرية، ولكونه أيقونة تراثية شاهدة على عدد من الفعاليات السنوية فضلاً الى الناحية المعمارية فهو معلم من المعالم التراثية.

تتحقق الهوية البصرية لفضاء للمبنى الداخلي عبر الأشكال التراثية المستخدمة فيه، إذ إن مصمم الطراز الإنكليزي عمل على إبقاء العناصر الشكلية الأصلية التي تمت المحافظة على أشكالها بمعالجتها، لذلك تتخذ الأشكال بعداً أدائياً في إبقاء الأعمدة الأسطوانية المحززة (الكورنثية) الأصلية لرفع الشرفات الخارجية، كذلك تتويج الأبواب والنوافذ بالعقود النصف دائرية والمنخفضة والمستقيمة التي تعمل على دخول الضوء الغير مباشر الى الفضاءات، وكما في استخدام القضبان الحديدية في الفتحات والمحجرات المعدنية لعمل الزخارف بأنواعها، فضلاً عن الإطارات الخشبية، مما يعطيها ذلك بعداً جمالياً إضافة الى البعد الأدائي، وجميع

ما له معنى وتعبير في الرموز والدلالات، مثل إبقاء الأعمدة الأسطوانية المحززة (الكورنثية) المستوحاة من الأعمدة السائدة في قصور ومحاكم الطراز الإغريقي، الذي يؤكد على عظمة ومتانة البناء كونه مخصص كدار لرئيس الوزراء والحاكم للبلاد، وأيضاً إبقاء المحجرات الخشبية الداخلية والآجرية المبرومة للشرفات الأرضية والمزخرفة النباتية المعدنية، والتي ترمز للطراز الكلاسيكي، وتؤكد على الهوية الأوربية والتي يمكن ملاحظتها في سلم الباب الرئيسي والشرفات العلوية الخارجية.

عمل المصمم الذي أشرف على عملية إعادة التأهيل لمبنى دار المخطوطات قد عمل على تأهيل المكان والإبقاء على هويته التصميمية، فقد إعتمد على عدة معالجات تصميمية لمواد قد تهالكت وتلفت بفعل الزمن، لكنه عمد على إبقائها عن طريق ترميمها بمواد محلية متوفرة وذات كلفة مناسبة كما في إبقاء ومعالجة نفس خشب الأبواب والنوافذ (البلوك) بالوارنيش الملمع وكذلك معالجة الأعمدة الإسطوانية المحززة (الكورنثية) بمادة معالجة ومدعمة (إسمنت أبيض) وكذلك السقوف الجصية ذات الروافد المتوازية والمزخرفة بالكورنيشات في الموزعات، فقد حافظ على المكان كونه أبقى على الخامة السابقة الأصلية، وكذلك القيام بإبقاء الأرضيات الأصلية من الكاشي الفرشي المزخرف في الممرات الأرضية والعلوية والفضاءات الداخلية، واستخدام ألواح الخشب المعاكس لإغلاق العقود النصف دائرية لفتحات الفضاءات الإدارية وتحويلها الى مستقيمة كمعالجة لحجب الرؤية ولتقليل دخول الضوء، الذي انعكس بالسلب المبنى، كما تمت معالجة جدران الفضاءات الداخلية للمبنى بالجص والبورك عن طريق الصقل ومعالجة التشققات بـ (المعجون)، أما الجدران الخارجية والشرفات فقد تم إهمالها لأسباب اقتصادية، مما انعكس ذلك بالسلب على المبنى التراثي، كذلك تم التأكيد على العلاقات التصميمية ما بين العناصر الشكلية التكميلية الظاهرة على المحددات الأفقية والعمودية من نسبة وتناسب في الحجم، وما بين الهيئات المتعددة كأشكال العقود النصف دائرية والمنخفضة والمستقيمة للأبواب والنوافذ في المبنى محاكياً بذلك العقود السائدة في الطراز الإنكليزي مع دمج العقود الإغريقية معها.

كان لعمليات الترميم العديدة التي جرت للمبنى وآخرها عند إعادة تأهيل المبنى للوظيفة الجديدة المقامة فيه سنة (2014م) الأثر البارز لإعتبارات إختيار مواد الإنهاء المستخدمة في عمليات الترميم مع التقيد بالجانب التراثي، فقد تنوعت ما بين إعتبارات وظيفية عبر إستخدام مواد قابلة للإدامة والتنظيف مثل الأرضية الفرشية القابلة للتنظيف بسهولة أو من طلاء الأخشاب بطلاء شفاف ذو قوام لامع قابل للتنظيف (وارنيش) أو السقف الثانوي (السندويج بنل) القابل للتنظيف في فضاء الأرشفة، أو إعتبارات جمالية بوساطة الزخارف النباتية والهندسية في فتحات المبنى، ويلاحظ في جميع الأبواب والشبابيك على شكل زخارف غائرة وبارزة عملت بوساطة النحت ونقش الخشب لحجب الرؤية من الخارج، وكذلك إستخدام وحدات الإنارة على السقوف الداخلية والإنارة السقفية المتدلية (الثريات)، فضلاً عن الفوانيس في الواجهات الخارجية، تأكيداً منه على التمسك بالهوية التصميمية للبيوت التراثية وإستحضار القيم والرموز والدلالات للحضارة الإسلامية ومزاوجتها مع الحضارة الغربية، حافظ فيها المصمم على هوية المكان التراثية وبنكهة معاصرة تبعاً لمتطلبات الحاضر عبر المعالجات التصميمية والبدائل التي عززت مفهوم الهوية البصرية من ناحية النظم والعناصر الشكلية. كما في شكل (3)

شكل (3) المدخل والمجاز المستعرض والباب المقابل له والزخارف الأرضية والإنارة

نجد بأن العناصر الشكلية الظاهرة على أنموذج فضاء العينة تحافظ على مفردات المكان وفق الطراز الإنكليزي، كما أن الأسلوب المعتمد في تصميم فضاء الأنموذج له نمط يتمثل بالعقود المختلفة والزخارف النباتية في النوافذ والمحجرات في أعلى الشرفات وبصوره متناغمة، وأيضاً في السقوف الجصية والروافد ذات الكورنيشات والأرضيات التي فرشت بالكاشي الفرشي المزخرف في الطابق الأرضي والعلوي والتي عززت الرؤى التراثية للمبنى، أما الواجهات فقد تم استخدام الآجر المحلي في بناءها المرصوص بشكل أفقي وبنقوش وزخارف نباتية وهندسية عملت بطريقة رصف الآجر في العقود فوق المدخل وأعلى الفتحات أضفت الإحساس بالطراز الإغريقي والتأكيد على المباني التراثية، كما تميزت الفضاءات الداخلية للمبنى بدمج مفردات الطراز الإغريقي مع الغربي بطريقة متناسقة عبر استخدام العقود المستقيمة أعلى الأبواب والشبابيك وكذلك في توظيف الأعمدة الأسطوانية المحززة (الكورنثية) المدمجة في الجدران والتي تعمل كحوامل للشرفة الأمامية وظيفياً وجمالياً بوساطة نقوشها وزخارفها الإسمنتية المتوجة بزخارف مختلفة بأسلوب بسيط، وقد تم إنهاء سقوف الموزعات الداخلية بالجص المزخرف بالروافد المتوازية والمزخرفة بالكورنيشات لإبراز جماليتها كما استخدمت العقود ذات الزجاج الشفاف التي تدخل الضوء الخافت للفضاء، مما يعطي جانب روحي للمكان يعمل تواصلاً بين الداخل والخارج، رغم شرفات الواجهة من الخارج لم يتم ترميمها وتأهيلها، مما أثرت على الطراز المعمول به، كذلك عملت الشرفات بالنقوش الهندسية (النجمة الخماسية) من الأسفل وباستخدام أسلوب النحت الغائر وبصورة جميلة يعكس وبصورة إيجابية مفردات الطراز الإسلامي الذي يعطي روحاً فريدة للمكان، كما إفتقد المبنى لعنصر هام من العناصر التكميلية المحققة للفضاء، ألا وهي القباب النصف كروية، والتي تتميز بجمال نقوشها وزخارفها من الداخل وزجاج فتحات رقابها الذي يدخل الضوء الطبيعي والذي بدوره ينعكس على أرجاء الفضاءات لإبراز معالمه وإعطاء الطابع التراثي للمكان، وإستعيض عنها بالفتحة الوسطية التي تعلو السقف الموزع الداخلي، وهناك نافورة على الطراز العثماني، استخدمت في الموزع الداخل كمعالجة بيئية لترطيب الأجواء، أعطت للمكان الشعور بالألفة والروح المفعمة بالحياة. كما يجسد هذا التأهيل محاكاة البيئة المحيطة

ومواد الأنهاء التقليدية السائدة وهي الفرشي في الأرضيات والطلس بالجص والبورك في الجدران الداخلية والآجر المحلي في الواجهات الخارجية والإسمنت الأبيض في الأعمدة والجص في السقوف والزجاج الشفاف في النوافذ والرخام في النافورة ، كل تلك المواد المتنوعة زادت من جمالية المكان وأعطته طابع العراقة والتميز. كما في شكل (4)

شكل (4) الموزع الداخلي والباب الخلفي يتوسطه نافورة والأرضية والسقف ذو الفتحة الوسطية

الفصل الرابع

النتائج والإستنتاجات والتوصيات

4-1 النتائج ومناقشتها:

بعد تحليل عينة البحث وإعتماداً على مؤشرات الإطار النظري، توصل الباحث الى النتائج الآتية:

1 – إن موقع المبنى التراثي وكما في العينة، يحدد أهميته التي تتركز في قربه من مؤسسات ودوائر حكومية، وأماكن للعمل، وأيضاً المناطق السكنية في شارع حيفا، فضلاً عن عدم تناسبيته التصميمية لإقترانه بالمجاورات القسرية.

2 – إن غالبية الفضاءات التي تصمم في هذه المباني التراثية، تشكل محوراً مهماً مرتبط بالبيئة وما تتضمنه من طبيعة معمارية لتغيير الجو، وأيضاً تعد هذه الأمكنة ملتقى للباحثين

والمهتمين بالتراث لكونه أيقونة تراثية شاهدة على العديد من الفعاليات فضلاً الى الناحية المعمارية.

3 – ضعف الشكل الخارجي للمبنى من الناحية الجمالية، بسبب رؤية المصمم للموروث الغربي على حساب الموروث العربي، اما الشكل الداخلي للمبنى، فقد كان متناسباً من ناحية النقش والزخارف والأعمدة القديمة، وأيضاً الأبواب والفتحات الموجودة والشرفات والفوانيس.

4 – تعتمد آليات تأهيل المباني التراثية أساليب متعددة، منها ما هو توثيقي يعمل على تسجيل المعلومات التي تتضمن شرح مفصل لتاريخ هذا المبنى، وأيضاً ضرورة توثيق بعض الصور الفوتوغرافية التي تبين صيانة وترميم وتثبيت كل ما يتناسب مع الفعاليات والأنشطة.

4-2 الإستنتاجات:

1 – إن التأهيل قد لا يكون لمبنى واحد، وإنما يتعداه إلى عدة أبنية حسب قدمها المحيط بالمبنى التراثي أو التاريخي، وايضا تبعاً لتطور المجتمعات فكرياً وثقافياً وفنياً، فضلاً عن كون التأهيل هو أحد الطرق للموارد الاقتصادية.

2 – تؤدي عمليات إعادة التأهيل دورها الفاعل في تأكيد فكرة الحفاظ على الفضاء الداخلي للمبنى وذلك بالإعتماد على العلاقة بين توظيف العناصر الشكلية داخل الفضاء الداخلي وبين نظم شكلية تتيح للمتلقي مرونة الحركة والإستخدام وممارسة الأنشطة والفعاليات داخل الفضاء.

3 – إن الإبداع في التصاميم الداخلية للمباني التراثية يعتمد على خبرة المصمم الداخلي في الإختيار الأفضل لعمليات التأهيل المناسبة ضمن تأثيرات منسجمة كأنواع المواد المستخدمة في الإنهاء وما لها من إعتبارات وظيفية وجمالية وإقتصادية وبحسب مواقعها ضمن محدادت الفضاء الداخلي .

4 – إن الإبقاء على هذه الأبنية وتأهيل فضاءها الداخلي ومظهرها وهويتها من الإندثار والضياع، ومدى توافق أفكار التأهيل مع متطلبات العصر، تحتاج إلى رؤية تتلاءم مع طبيعة الحياة وإستغلالها للجذب السياحي والمردود المادي.

4-3 التوصيات:

1 – توسيع قاعدة الدراسات التصميمية في العمل التصميمي العراقي، لتشمل أكبر عدداً من المباني التراثية.

2 – إجراء دراسات نقدية لتصاميم المباني التراثية في العراق، ومنها في بغداد، وذلك وفق إشتراطات متجددة تلامس تصاميم تراثية تعمق الصلة والتواصل للجميع، وبأسلوب مستحدث في التصميم وتنفيذ الفضاءات.

4-4 المقترحات:

إستكمالاً للفائدة المتوخاة من دراسة البحث الحالي .. ولأجل إستثمار نتائجه وإستنتاجاته وما عرض من توصيات ... يقترح الباحث الدراسة الآتية :-

1 – دراسة (معايير إستخدام العناصر الشكلية في تصاميم المباني التراثية وتوظيفها في تصاميم الفضاءات الداخلية للمباني المعاصرة).

قائمة المصادر

- **المصادر العربية:**

1. ***ثروت عكاشة. (1994). القيمة الجمالية في العمارة العربية الإسلامية (الإصدار 1). القاهرة: دار الشروق.***
2. ***جمال شفيق عليان. (2004). نظريات ومدارس الحفاظ المعماري في الأردن ومشاكل التطبيق. الحفاظ المعماري بين النظرية والتطبيق (صفحة 332). دبي: مؤتمر ومعرض بلدية دبي الدولي الأول.***
3. ***حميد محمد الدراجي. (2007). الأعمدة والتيجان في العمارة التراثية. بغداد: مطبعة دار المصطفى.***
4. ***رشاد محمد بوخش. (2004). منهجية الحفاظ المعماري الفرضيات وأطروحات الحلول – دبي كدراسة حالة. الحفاظ المعماري بين النظرية والتطبيق (صفحة 267). دبي: معرض ومؤتمر بلدية دبي الدولي الأول.***
5. ***سليمة عبد الرسول. (1987). المباني التراثية في بغداد – دراسة ميدانية في جانب الكرخ. بغداد: مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر.***

6. ضرغام مزهر العبيدي. (2003). (العمارة والتغير) أثر الإدراك المعرفي في تغيير النتاج المعماري. جامعة بغداد: كلية الهندسة.
7. طلعت رشاد الياور. (2001). الرواشن (الشناشيل) في عمارة البيت البغدادي. وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين (صفحة 196). بغداد: منشورات المجمع العلمي.
8. عبد الرحيم غالب. (1988). موسوعة العمارة الإسلامية (الإصدار 1). بيروت: جروس بيرس.
9. عبد الستار العزاوي. (1996). العقود والأقبية في العمارة العربية الإسلامية. جامعة بغداد: كلية الآداب – قسم الآثار.
10. فادية عمر الجولاني. (1993). التغير الإجتماعي – مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير. الأسكندرية – مصر: مؤسسة الشباب الجامعة.
11. معتز عناد غزوان. (2012). فاعلية النقطة ودلالتها في التصميم الطباعي(الملصق إنموذجاً). مجلة جامعة بابل، 12.
12. ميرفت خليل حوبش. (2003). تجارب الأردن في مجال الحفاظ على المباني القديمة. دمشق القديمة والحفاظ عليها تراثاً وطنياً وعالمياً (صفحة 1). دمشق: ندوة.
13. وفاء كامل عبيد. (2015). تخطيط وعمارة البيوت التراثية في كربلاء المقدسة. جامعة بغداد: كلية الآداب – قسم الآثار.

- المصادر الأجنبية:

14. Ceprian, Pal. (2004). Rehabilitated Building. New York: Architectural & Design E. Book.
15. Cotrim, H. & Others. (2008). Friexo Palace: Rehabilitation of Decorative Gypsum Plasters, in: Construction and Building Materials. 22, pp. 41–49.
16. Murtagh, W. J. (2006). Keeping Time (Third Edition ed.). New Jercey, Hoboken: John Wiley & Sons Inc.
17. Smithes, K. (1981). Principles of Design in Architecture. Berkshire: Van Nostrand Rienhold.

18. W Brown .(1933) .The Preservation of Historic Arrchitecture .The U.S Government .United States of America: Morton and National Park srvices.